ماذا في تل أبيب ؟

بقلم : شاكر مصطفى

– تتمة ما نشر في العدد الماضي –

وبلبلة اللغة تقوم كمشكلة اولى من مشاكل التعليم في فلسطين . والمشكلة الثانية هي مشكلة برامج التعليم اذ ليس هنالك من برنامج موحد، فلكل جماعة منهجها، كما ان مشكلة التعليم الديني تجرح كل محاولات الصهر والتوحيد بين اليهود. فالصراع بين الاشتراكية العلمانية وبين المتدينين عنيف يبلغ عند الطرفين حد الهوس . يضاف الى ذلك مشكلة التعليم الحزبي، فللاحزاب هنالك ايضاً مدارسها.

على اننا يجب ان لا ننسى ان اليهود الغربيين على الاقل مثقفون. كما ان جميع المدارس تتفق في تقوية الروح الصهيونية القومية بين الطلاب فهناك درس على الاقل كل يوم لمادة (هاسكالاه ليئوميت) اي الدروس القومية لتاريخ اليهود والصهيونية وجهاد زعمائها ..

وتصرف الحكومة سنوياً ٣٠ مليون ليرة على التعليم فهنالك ١٣٠٠ مدرسة فيها ٦٣٥٠ معلماً وحوالى ٢٠٠ الف طالب .

والمدارس انواع منها للصناعات والحرف والتمثيل والرقص والموسيقى ، ولعمال الفنادق ولتخريج الموظفين ورجال السلك السياسي والزراعة واللاسلكى والعميان والصم البكم وللسكك ..

على ان كل الحركة الثقافية في فلسطين تتمركز في الجامعة العبرية التي وضع اساسها عام ١٩٢٤ وفيها ١١ كلية هي الكيمياء والعلوم والرياضيات والفلسفة والعلوم الاجتماعية والآداب واللاهوت والحقوق والآثار واللغات الشرقية والطب ، وفي الجامعة مكتبة من اكبر مكتبات العالم اذ انها تضم اكثر من نصف مليون مجلد فيها ١٥٠ الفاً بالعبرية وفيها عدد من المخطوطات العربية النادرة .

وهنالك مركزان آخران من اكبر المراكز العلمية في الشرق هما معهد (زيف) و (وايزمن) للتجارب الكيماوية في (روحوبوت) وكلية الصناعات الفنية (التخينكوم) في حيفا ففي هذه المراكز الثلاثة تقوم الآن الابحاث الذرية تشرف عليها لجنة من وزارة الدفاع مع الدكتور برغمن السويدي وبونتكارفو البريطاني وروكاح الايطالي وكوهن الاميركي وسمبورسكي الروسي الفلسطيني .

وتهتم هذه اللجنة العلمية بثلاثة امور : انتاج الماء الثقيل من الماء العادي بواسطة التقطير بدل الغليان ، وانتاج الاورانيوم من الفسفات بنسبة ١/٦٠٠٠ ، وجعل مياه البحر صالحة للزراعة .

ولعلنا نعرف انتشار التعليم في فلسطين من الصحافة . والصحافيون هنا قد يحتلون اكثر تقديراً لهذه الناحية اذا عرفنا ان لليهود : ٧٢ نشرة صحفية دورية لها محررون يتقنون جميع لغات العالم فهناك من الجرائد العبرية : جريدة دافار : لحزب المابای تأسست ١٩٢٤ وتطبع ١٣٧ الف نسخة يومياً . جريدة هاآرتس : المستقلة تأسست ١٩١٨ وتطبع ٥٠ الف نسخة يومياً . جريدة هابوكر : للصهيونيين العموميين تأسست ١٩٣٤ وتطبع ٢٧ الف نسخة يومياً . جريدة عل هامشمار : لحزب المابام تأسست ١٩٤٣ وتطبع ٣٢ الف نسخة يومياً . وجريدة حيروت : التي تطبع ١٢ الف نسخة ، وجريدة قول هاعام : للشيوعيين التي تطبع ١٠ آلاف نسخة ، هذا عدا جريدة جروزالم بوست وتوزع ١٥ الف نسخة ، ويد يعوت بالالمانية وعدا الصحف باللغات الاخرى ومنها بالعربية : جريدة الاتحاد للشيوعيين ، واليوم للمابای ، وحقيقة الامر للهستدروت والمرصاد للمابام ، والوسيط للصهيونيين ويشرف عليها المطران حكيم .

وننتقل بعد ذلك الى الاوضاع الاقتصادية :

ومن المعلوم ان الصهيونية بدأت جهدها على اساس الزراعة وامتلاك الارض وعلى هذا فان اليهود اليوم يزرعون ما

مساحته ٤ ملايين من الدونمات اكثر من ٩/١٠ بعلي . وتبلغ قيمة الانتاج الزراعي حوالي ٤٠ مليون ليرة ، ولكن هذا الانتاج لا يقدم الا ١٠٪ من حاجة اليهود للقمح والزيت و٣٥٪ من الحليب والبيض و٤٥٪ من السمك و٣٠٪ من الخضار .

والزراعة الآلية تتسع حتى لتعد التراكتورات بحوالي (٥) الآف تراكتور . واهم قضايا الزراعة قضية الجفاف والمياه . وقد قام عدد من الخبراء البريطانيين والاميركيين بدرس مصادر المياه في البلاد واشهرهم الدكتور والتر (لوزر ميلك) الاميركي صاحب المشاريع الكبرى في وادي تنسي وقد استخدمه اليهود ثلاث سنوات . وهناك خبراء شركة تاهل اصحاب مشروع تحويل نهر الاردن .

واذا كانت شركة (ميكورت) اهم الشركات الصهيونية التي تعمل بالري ومصادر المياه منذ ١٩٢٤ وتعمل اليوم في مشاريع ثلاثة هي : ١ – مشروع الجليل الغربي لارسال المياه الى مرج ابن عامر . ٢ – مشروع غوربيسان لجر المياه من اطراف الاردن الى الغور . ٣ – مشروع وادي الصرار قرب الرملة . الا ان اهم المشاريع التي تعنينا نحن هي :

١ – مشروع تجفيف الحولة : وقد كاد يتم الآن . اذ شقت في طول الحولة وعرضها اقنية على شكل (H) جففت جميع المستنقعات حول البحيرة كما جففت البحيرة نفسها بتوسيع مجرى نهر الاردن وتنظيمه وتعميقه في جنوبها وشمالها . وقد ادى هذا المشروع الى زيادة امكانيات الاستيعاب في فلسطين بمقدار ربع مليون مهاجر .

٢ – مشروع تحويل مجرى الاردن : الذي يراد منه سوق مياه الاردن من شمال الحولة وعلى الضفاف الغربية المرتفعة حتى (بيت نتوفا) حيث يقام المخزن الاكبر لكل مياه الشمال .

هذه المجلة

طبعت في مطابع « **الآداب** » التي تعلن استعدادها لطبع الكتب والمجلات والنشرات التجارية طبعاً أنيقاً وسريعاً ، على آلاتها الاوتوماتيكية .

بيروت – الخندق الغميق – شارع الشدياق
ص. ب ١٠٨٥ تلفون ٢٦٩٩٦

ويؤخذ من هذه المياه كمية تسقط بمساقط شلالية متكررة على بحيرة طبرية بمجموع مساقطها (٢٥٠) متراً تقريباً تعطي من القوة الكهربائية ما مقداره (٤٠) الف كيلووات ساعي .

٣ – مشروع جر المياه من بيت نتوفا باتجاه النقب وجمع مياه الوديان على طول فلسطين اليها لتروي اكبر المساحات الممكنة في النقب .

٤ – مشروع جر مياه البحر الى طبرية : ويعمل على الاستغلال الزراعي بجانب تعاونيات المستعمرات عدد من الشركات الكبرى منها : (شركة تحسين الاراضي) التابعة لبنك اسرائيل . وشركة البيكا – الصهيونية التي انشأها روتشيلد للاستعمار ، و(شركة تنوفا) وهي لجمع المنتوجات الزراعية وقد انشأها الهستدروت . و(شركة هامشبيرها مركزي) لتصريف الانتاج الزراعي ، وشركات (ياخين) ، (بشتان الكرمل) ، (حاكال) (نير) الخ ..

واما في الصناعة : فقد كان برنامج الصهيونيين ان تصبح فلسطين اول دولة صناعية في الشرق الاوسط . ولا شك انهم خطوا خطوات واسعة نحو هذا الهدف ، بالرغم مما يقرره الخبراء في تقاريرهم من ان الصناعة تسير بدون هدف وانها مضطرة الى الاقتصار على الانتاج المحلي لان المقاطعة الاقتصادية العربية تطوقها ولانها لن تبلغ من الجودة ما تنافس معه المصنوعات الغربية ولن تبلغ من الرخص ، مع ارتفاع تكاليفها ، ما تستطيع معه غزو الاسواق والثبات للمنافسة .

ومعظم الصناعات بأيدي الرأسماليين والشركات ذات الاتصال العميق بالرأسمالية الاميركية – وهذا في الواقع يفسر وجود دولة تل ابيب جميعاً – فان ٥١٪ من مصانع فلسطين ملك شخصي وان ٣٢٪ ملك للشركات والباقي للتعاونيات والعمال . وتحاول الدعاية الصهيونية ما امكنتها المحاولة ان تشيع عن وجود الثروات الدفينة في البلاد لاجتذاب الرساميل الاجنبية .

ويبلغ عدد المصانع اكثر من (٨) آلاف مصنع بين كبير وصغير . يشتغل بها حوالى (١٤٠) الف عامل . على ان معظم المواد الاولية اللازمة للصناعة مستوردة عدا ما يتوفر في البلاد من املاح ومنتوجات زراعية .

واتفاق العلم والابحاث العلمية مع الصناعة في التطبيقات قد بدأ يظهر بوضوح وقد كان الدكتور وايزمن يشرف بنفسه على هذا التعاون الذي يتسلمه الآن الدكتور سامبورسكي .

ويعاون التقدم الصناعي بجانب ذلك مصرف صناعي انشيء

سنة ١٩٣٣ وشركات صناعية للتصريف . واتحـــاد لاصحاب المصانع يتعاون مع الحكومة والوكالة اليهودية . على ان عدداً كبيراً من الصناعات ، لا سيما فروع المصانع الاجنبية كشركة فيلبس مثلاً تفلس هناك بسبب عدم تصريف البضائع . واهم ما تنتجه فلسطين من المعادن : ١ – معادن البحر الميت : بمختلف املاحه من ملح الطعـــام الى كلور الكالسيوم والبوتاسيوم وبروميد المغنيزيوم ...

٢ – ملح منطقة اسدوم : سادوم الفاسقة اياها .

٣ – طمي منطقة الحولة الذي يقدر بعشرات ملايين الاطنان والذي بدأ يستخدم كسماد زراعي ووقود ايضاً .

٤ – الفوسفات الذي يؤخذ من الحليقات غربي غزة . والحديد من عين الجديان شمالي العقبة . والنحاس من الكرنب في النقب والاسفلت والرخام .

اما في الوقود : فان مشروع روتنبرغ لتوليـد الكهرباء على الاردن قد نقل الى مقربة تل ابيب . ومجموع ما ينتجه هذا المشروع مع مشروع كهرباء القدس هو حوالي (١٠٠) الف كيلوات ساعي . ربعها يستخدم في الصناعة .

واما في المصنوعات فهناك عدا مواد البناء على اختـلافها ، وعدا صناعة الزيوت والشحوم والصابون والخمور ، وعـــدا معامل النسيج والاحذية : معامل الصناعـــة المعدنية . فمعامل (واغنر) في يافا تصهر الحديد وتسكب الفولاذ ، وتصنع قطع السيارات المختلفة ، ومعامل ثيوب الاميركية قـــرب حيفا تصنع انابيب الفولاذ . ومعامل (هاناباخ) في تل ابيب تصنع الرشاشات ، ومعامل (كايزر فرايزر) في حيفا كانت تصنع السيارات بمعدل عشرين سيارة يومياً وقد توقف انتاجها الآن ..

وهناك الى هذا اكبر مصانع العالم لقطع الماس وصقله في تل ابيب ، عـــدا الصناعات الكيماوية المختلفة والادوية ، والبلاستيك ، والبرادات والكبريت والزجاج والاطارات المطاطية والاصبغة وهناك محاولات علمية لانتاج المواد الغذائية بتكاليف بسيطة ..

والميزان التجاري لفلسطين خاسر خسارة هائلة . وقد كانت نسبة الاستيراد الى التصدير كنسبة ١٠٠ الى ١٥ وكان مقدار العجز يزيد عن (٢٠٠) مليون ليرة ثم اصبح الآن اقل من ١٠٠ مليون بسبب اموال التعويضات الالمانية واستغنـــاء تل ابيب عن الاستيراد . واول الدول المستوردة من فلسطين بريطانيا ثم الولايات المتحدة ثم الدانمرك ..

والمواصلات اليهودية شبكة واسعة .

ففي الملاحة البحرية : ذكر بن غوريون في احدى خطبـه ان فلسطين ضيقة المساحة وان ليس امامهـا غير البحر لتوسع مجال حيويتها ، ولهذا انشأت الحكومة شركة (تسيم) تسي– مسخاري اي اسطول تجاري .

كما ان هنالك شركتين أخريين هما (غتيد) و(ديزنكوف) ومجموعة حمولة الاسطول التجاري اليهودي (١٥٠) الف طن موزعة على (٣٧) سفينة . وبرنامج اليهود يقضي بزيادة حمولة الاسطول الى مليون ونصف المليون من الاطنان وان يحتوي على ناقلتين للبترول وست بواخر لنقل الحمضيات . واكبر المرافىء اليوم هو مرفأ حيفا الذي اصبح يمتـد حتى مصب نهر المقطع . واما مرفأ ايلات فقد فشل .

وفي الملاحة الجوية قامت شركة (العال) منذ عام ١٩٤٩ بربط فلسطين مع نيويورك وباريس وروماوزوريخ ، وبمباي والفلبين والحبشة . وقد اقيمت عدة مدارس للطيران ، واهم المطارات مطـار اللد الذي يستقبل طائرات (١٣) شركة اجنبية ، ويليه مطار حيفا ثم ايلات وصفد وناثانيا عدا المطارات العسكرية ..

وفي الخطوط البرية ، كان اهم ما صنع اقامة طريق بين بئر السبع وايلات كلف كل كيلومتر منـه ١١ الف جنيـه ، والعمل يجري الآن لمد خط حديدي من الرملة الى بئر السبع وايلات ، كما انتهى ربط تل ابيب حديدياً مع حيفا .. واهم شركات النقل شركة (ايغود) التابعة للهستدروت .

ونصل الى الوضع المالي : فنجد ان النقد اليهودي المتداول الآن يصدره (بنك اسرائيل الوطني) وليس له من تغطيـة مقبولة سوى رأسمال البنك وما تملكه الحكومة من نقـــد اجنبي ولما نقصت هـــذه التغطية اصدرت الحكومة للتكملة سندات عقارية على املاك الدولة .

والسعر الرسمي الاصلي لليرة الاسرائيلية هو جنيه استرليني لكن قيمتها قد تدنت حتى اصبحت تعـــادل الليرة السورية الآن . وكانت ثلاثة دولارات تعادل ليرة تقريبـاً فاصبحت ثلاث ليرات تعـــادل الدولار ، والحكومة اليهودية لا تخشى تدهور نقدها خارجياً ولكنها تخشى من تضخمه في الداخل ، وليس لديها من وسيلة لامتصاصه .

والنقد المتداول اليوم يبلغ (١٩٨) مليون ليرة وكان

هذا الرقم عام ١٩٤٨ لا يزيد عن ٢٨ مليون . ولهذا فالغلاء شديد جداً والاسعار ارتفعت (١١) ضعفاً عما كانت عليه في ايلول ١٩٥١ حسب التقدير الرسمي .

وميزانية الدولة تقسم الى ثلاثة اقسام : الميزانية العادية وهي لا تزيد عن (٨٥) مليوناً للنفقات ومثلها للواردات ، وميزانية التحسين والانشاء وتغطى عادة بالقروض والسندات وتصل الى (١٥٠) مليون ليرة . ثم ميزانية الدفاع وهي سرية ، ولا تقل عن (١٠٠) مليون .

ولا شك ان مثل هذه الموازنات بالاضافة الى نقص الاغذية وتدني النقد ، وخسارة الميزان التجاري بحاجة الى تعويض من النقد الاجنبي ، ومصادر تل ابيب منه واسعة ، فانها رغم عجزها المستمر وانقطاعها مرات عن دفع رواتب الموظفين ، تتلقى سنوياً المال من المصادر التالية :

(٥٠) مليون ليرة من سندات القرض (وكانت تأمل بـ ٥٠٠ مليون) . و (٣٧) مليون ليرة من الجباية الموحدة ، و (٧٠) مليون ليرة من اموال التعويضات الالمانية ، و (٥٠ — ٦٠) مليون من المعونة الاميركية ، و (٢٠) مليون من التبرعات ، و (١٢) مليون من الرساميل الاجنبية (ولا يسمح لها بالخروج) هذا عدا (١٠٠) مليون ليرة قيمة الاعتماد الذي فتحه لها بنك الاستيراد والتصدير الاميركي ، وعدا الاعتماد التجاري الفرنسي بقيمة (٢٫٥) مليون وعدا الاعتماد السويسري بحوالى ستة ملايين ، وعدا القروض الداخلية المختلفة واموال الصناديق القومية . ونقطة القلق في هذا الوضع هو هذا السؤال الذي يقرض ضمير اليهود :

هل يمكن ان تستمر هذه الموارد ؟ .

وبعد فتلك هي الدولة ، وذلك هو مجتمعها ، وهذه هي اقتصادياتها . ان كل قواها متجهة اليوم الى زيادة السكان والاسكان والتقدم الزراعي والصناعي لزيادة الدخل القومي والى توسع المواصلات والتعليم واستغلال كل مورد في البلاد يؤيدها في ذلك عقيدة قومية عنيفة الحدود ومنظمات عسكرية واسعة متشعبة ، وعلم يحاول ان يضع نفسه في خدمة الغزوة اليهودية وضغط صهيوني عالمي له وزنه وله قواه الرهيبة .

ووجوه الضعف في هذا التكوين ان عدد السكان قليل فلا هم يمثلون اكثرية اليهود في العالم ولا هم يوزنون بالامة العربية التي تطوقهم ثم انهم غير منسجمين ويمثلون اوساطاً وشعوباً متباينة جداً ولا يمكن للبلاد ان تستوعب اكثر مما استوعبت .. وقد توقفت الهجرة اخيراً بهذا .. وانتاج البلاد اقل بكثير من ان يكفي خمس السكان والمقاطعة الاقتصادية العربية تخنق الصناعة لحد كبير . والنفوذ الرأسمالي الاجنبي واضح ويأخذ بزمام الدولة ويستطيع ان يقطع الموارد والاعانات عنها .

يضاف الى ذلك ان الاتجاه العسكري الذي يربى عليه الجيل الجديد يلقى مقاومة عميقة في النفوس اليهودية ولا يمكن ان يستمر طويلاً في ضغطه اليائس .

ترى هل لي ان استنتج من هذه الموازنة شيئاً ؟

ان شاعراً يهودياً بولوني الاصل : آهارون امير كتب قصيدة قال فيها :

بين الكروم عند خرائب لاكيش وبيت ايل .
سرت اشم هواء ارض القدم الازلي .
وحيداً اناجي التراب ، وفوق رأسي اغصان التين .
واغنام ظهرت تسوقها راعية .. انها اختي ، اختي فاطمة الفلاحة العربية. بنت هذه الارض .
اختي الفلاحة التي هي اقرب الي من ابي لانها بنت امي الارض .
ارضنا ... بل ارض فاطمة الفلاحة ، ارض كنعان .
انها تفتح صدورها لها ولكنها تبخل بزرعها على الاغراب
هؤلاء القادمون من بولونيا ومنهم ابي واقاربه وابناء بلدته
ليس لهم علاقة بهذه الارض التي تطوي في ترابها جدود فاطمة الفلاحة
ايه ايتها الارض ! هل تقبلين ان اكون ابنك .
هل تحتضنيني مثل فاطمة وبني قومها ؟
لا ! انك غاضبة تصرخين لان الاجانب شردوا ابناءك ... اني اشعر ان كل دفقة دم في عروقي . كل معول في بلادي يقول : سنعود يا ارضنا ... سنعود . »

ان المغامرة الصهيونية الكبرى التي كلفت حتى الآن ما يزيد على (٣) مليارات دولار عدا الجهود البشرية خلال سبعين سنة لا يمكن ان تدوم لانها لن تعطي الثمرة المرجوة منها . فلا اجتمع اليهود ولا استثمر الشرق الاوسط !! بينما القوة العربية في نمو مستمر ..

واولئك الذين وصلوا على الباخرة « آصلان » ذات يوم لا ادري كان لاهباً من القيظ او كان يشرق بالضباب الاسود سيعودون على باخرة من مثلها ... او اسوأ منها !

سيخرجون كما خرج الرومان من فلسطين وكما جلا الصليبيون ! وسترجع (فاطمة) الى ذلك التراب !..

دمشق — **شاكر مصطفى**